

عدن، صحيفة الجندي، العدد (90)، السنة الخامسة، 1972م.

عدن : صورة حية عن إقتصادها في العصور الوسطى

و الآن إليك - ياعزيزي القارئ - هذه الصورة الحية التي رسمها لنا المؤرخ العربي الشيخ المسند المحدث المؤرخ جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي في كتابه المستبصر (تحقيق أوسكر نوفغرين - طبع ليدن) عن الحركة في مينائنا العظيم في مطلع القرن الثالث عشر.

ذكر وصول المراكب إلى عدن:

((..إذا وصل مركب إلى عدن و أبصره الناظرون و الناظور على جبل نادى بأعلى صوته **هيريّا!** و هو آخر جبل الأخضر الذي بني عليه الحصن الأخضر و يسمى (سيريسيه). و ما يقدر الناظور ينظر إلا عند طلوع الشمس و غروبها لأن في ذلك الوقت يقع شعاع الشمس على وجه البحر بيان عن بعد مسافة ما كان و يكون الناظور قد عرض عوداً قدامه فإذا تخايل له شئ في البحر قاس ذلك الشئ على العود فإن كان طيراً أو غيره زال يميناً أو شمالاً أو يرتفع أو يهبط فيعلم أنه لا شئ. و إذا كان الخيال مستقيماً على فيء العود ثبت عنده أنه مركب أشار إلى صاحبه و هو ينادي يا هيريّا و أشار صاحبه إلى رفيقه و أشار الرفيق إلى جراب بأعلام المركب فحينئذ يوصل الجراب خبر المركب إلى والي البلد فإذا خرج من عند الوالي أعلم المشائخ بالفرضة و بعدهم ينادي بأعلى صوته من على ذروة الجبل: هيريّا، هيريّا، هيريّا فإذا سمع عوام الخلق الصوت ركب كل جبل و صعد سطحاً يشرف يميناً و شمالاً فإن كان ما ذكره صحيح يعطى له من كل مركب دينار ملكي و ذلك من الفرضة، و إذا كان كاذباً يضرب عشر عصي.

فإذا قرب المركب ركب المبشرون الصنابيق للقاء المركب فإذا قربوا من المركب سعدوا و سلموا على الناخوذة و يسألونه من أين وصل و يسألهم الناخوذة عن البلد و من الوالي و سعر البضائع. و كل من يكون له في البلد أهل و معاريف من أهل المراكب أما أن يهنونه أو يعزونه له و عليه. و يقدم شيء نحوه و يكتب إسم الناخوذة و أسماء التجّار و يكون (الكراني) قد كتب جميع ما في بطن المركب من متاع و قماش فيسلم إليهم الرقعة و ينزل المبشرون في الصنابيق راجعين كلهم رأساً واحداً إلى الوالي و يعطونه رقعة (الكراني) مع ما كتبه من أسماء التجار و يحدثونه بحديث المركب و من أين وصل و مافيه من البضائع، و يخرجون من عنده يبشرون أهل من وصل بجمع الشمل و يأخذ كل بشارته. فإذا وصل المركب المرسى و أرسى تقدم إليهم نائب السلطان و يصعد المفتش يفتش رجلاً بعد رجل و يصل التفتيش إلى العمامة و الشعر و الكمين و حزة السراويل و تحت الأباط و يضرب بيده على حجرة الإنسان و يدخل يده آليته و يشتمه على قدر المجهود. و كذلك عجوز تفتش النساء تقرب بيدها من أعجازهن و فروعهن.

فإذا نزلت التجار إلى البلد نزلوا بدبشهم من الغد، و بعد ثلاثة أيام تنزل الأقمشة و البضائع إلى الفرضة
تحل شدة شدة و تعد ثوباً ثوباً. و إن كان من بضائع البهار يوزن بالقبان و يضرب في جميع ما أشكل لئلا
يبقى شئ و قد عاهدوا الله عز و جل أن يبذلوا المجهود قدام المشائخ. ((ص 138 - 139.